الرسالة

(١ كورنثوس ٩: ٢-١٢)

يا إخوةُ إنَّ خاتَمَ رِسالتي هو أنتم في الرب* وهذا هو احتجاجي عند الذينَ يفحصونني* أَلعلَّنا لا سلطانَ لنا أن نأكلَ ونشرب* أَلعلَّنا لا سلطانَ لنا أن نجولَ بامرأةٍ أختٍ كسائرِ الرسلِ وإخوةِ الربِّ وصفا* أم أنا وبرنابا وحدَنا لا سلطانَ لنا أن لا نشتغِل* مَن يتجنَّدُ قطُّ والنفقةُ على نفسه. مَن يغرِسُ كرماً ولا يأكُلُ من ثمرِه. أو مَن يرعى قطيعاً ولا يأكُلُ من لَبَنِ القطيع* أَلعلّي أتكلَّم بهذا بحسبِ البشريَّة أم ليسَ الناموسُ أيضاً يقول هذا* فإنَّهُ قد كُتبَ في ناموسِ موسى لا تكُمَّ ثَوراً دارساً. أَلعلَّ اللهَ تُهمُّهُ الثِيران* أم قالَ ذلكَ من أجلِنا لا محالة. بل إنَّما كُتِبَ من أجلِنا. لأنَّهُ ينبغي للحارثِ أن يحرُثَ على الرجاءِ وللدارسِ على الرجاءِ أن يكونَ شريكاً في الرجاءِ* إن كُنَّا نحنُ قد زَرَعنا لكم الروحيَّات أَفيكونُ عظيماً أن نحصُدَ

الغفران

تطالعنا كنيستنا المقدّسة بمَثَلٍ أعطاه الربّ يسوع لبطرس الرسول (مت ١٨: ٢٣-٣٥)، عندما سأله هذا الأخير عن المغفرة: «يا ربّ كم مرّة يخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرّات؟» (مت ١٨: ٢١). يتّضح من هذا المَثَل، ومن تعاليم أُخرى، أنّ الربّ صارم جدًّا في موضوع المغفرة، إذ لا يمكن لمن لا يغفر للآخرين أن يطلب المغفرة من الله. يبدأ المَثَل بقول الربّ يسوع: «يشبه ملكوت السموات» (١٨: ٢٣)، أي إنّ ما يريد الربّ تعليمنا إيّاه من خلال هذا المثَل هو الحالة التي على الإنسان أن يحقّقها ليضمن وجوده في الملكوت، وهذه الحالة هي الغفران. أي لا وجود في الملكوت لمن لا يغفر للآخرين.

يظهر من هذا المَثَل أنّ المنطلق هو رحمة الربّ ورأفته تجاهنا، نحن عبيده. عندما أراد المَلِك أن يحاسب عبده المديون له بمبالغ طائلة (عشرة آلاف وزنة)، لا يمكن لأيّ عبدٍ في ذلك الزمان أن يوفيها، ولو قضى كلّ عمره في العمل، توسّل إليه العبد ليمهله حتّى يوفي الدَّين. تحنّن المَلِك عليه وترك له الدَّين كلّه، بعد أن كان أصدر أمرًا ببيعه هو وامرأته وأولاده وكلّ ما له ليوفي ما كان عليه. لقد علَّمَنا الربّ، على لسان الرسول بولس، أنّ الله كان هو المبادِر إلى مسامحتنا ونحن بعدُ في خطايانا، ودعانا أن نسلك في الطريق نفسه: «لأنّ المسيح إذ كنّا بعدُ ضعفاء مات في الوقت المعيّن لأجل الفجّار. فإنّه بالجهد يموت أحدٌ لأجل بارٍّ. ربّما لأجل الصالح يجسر أحدٌ أيضًا أن يموت. لكنّ الله بيّن محبّته لنا لأنّه ونحن بعدُ خطأة مات المسيح لأجلنا» (رو٥: ٦-٨)؛ «ليُرفع من بينكم كلّ مرارةٍ وسخطٍ وغضبٍ وصياحٍ وتجديفٍ مع كلّ خبثٍ، وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعضٍ، شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضًا في المسيح» (أف ٤: ٣١-٣٢). حالاً، لمّا خرج هذا العبد من عند سيّده، إلتقى بأحدِ العبيد رفقائه وكان يدين له بمبلغ زهيد جدًّا، مقارنةً بالمبلغ الذي كان عليه لسيّده، فطالبه بالمبلغ. غير أنّ العبد المديون طلب إليه إمهاله حتّى يوفي

العدد ٣٢ / ٢٠١٨
الأحد ١٢ آب
تذكار الشهيدَين
فوتيوس وأنيكيتس
اللحن الثاني
إنجيل السَحَر الحادي عشر

له الدين.

نلاحظ هنا أنّ الربّ يسوع استعمل العبارة نفسها على لسان العبدَين: «فخرّ العبد (رفيقه) وسجد له قائلًا: تمهّل عليّ فأوفيك الجميع» (١٨: ٢٦، ٢٩). يفترض سامع المثَل، أنّ العبد سيعامل العبد رفيقه كما عامله سيّده، فيسامحه بما كان له عليه. غير أنّ هذا العبد فعل مع رفيقه العكس تمامًا: «فلم يُرد، بل مضى وألقاه في سجن حتّى يوفيَ الدَّين» (١٨: ٣٠)؛ مع العلم أنّ المسجون لا يمكنه العمل، وتاليًا لن يستطيع إيفاء الدَّين أبدًا، أي سيبقى مسجونًا مدى الحياة.

عندما علم المَلِك ما فعل ذاك العبد، إستدعاه وأنّبه بشدّة، لأنّه كان يُفترض أن يتمثّل بسيّده ويرحم رفيقه كما رحمه هو: «وغضب سيّده وسلّمه إلى المعذِّبين حتّى يوفيَ كلَّ ما كان له عليه» (١٨: ٣٤). تأتي خلاصة المثَل والرسالة التعليميّة من ورائه على لسان الربّ: «فهكذا أبي السماويّ يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كلُّ واحدٍ لأخيه زلّاته» (١٨: ٣٥).

كرّر الربّ بوضوح هذا التعليم في مناسبات مختلفة، أي على الإنسان المسيحيّ أن يكون جاهزًا للغفران بلا حدود، ولا يمكنه إلاّ أن يغفر، تحت طائلة العقاب: «حينئذٍ تقدّم إليه بطرس وقال: يا ربّ كم مرّة يُخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرّات؟ قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرّات بل إلى سبعين مرّة سبع مرّات» (١٨: ٢١–٢٢)؛ «فإنّه إن غفرتم للنّاس زلّاتهم يغفر لكم أيضًا أبوكم السماويّ، وإن لم تغفروا للنّاس زلّاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضًا زلّاتكم» (٦: ١٤–١٥). إنّها معادلة بسيطة جدًّا، ولا يمكننا اتّهام الله بالقسوة، إذ كان هو المبادر إلى رحمتنا ومسامحتنا، ليس لأنّنا صالحون، بل بسبب محبّته للبشر، كما ذكرنا سابقًا. أقلّ ما يمكن أن يطلبه الربّ من أتباعه هو أن يفعلوا مثلما فعل هو.

لذا، لا يمكن لأيّ إنسان مسيحيّ أن يتعلّل بأيّ علّة تمنعه من أن يغفر للآخرين. إذا شاء الإنسان ألاّ يغفر، أو إذا شعر بأنّه لا يستطيع أن يغفر، فالأفضل له أن يترك الربّ، من أن يتسمّى باسمه فيما بعد، وإلاّ سيتلقّى العقاب الذي أعلنه الربّ لنا في المَثَل الذي أعطاه للرسول بطرس. نحن نسمّى «مسيحيّين» على اسم معلّمنا، وعلينا أن نعمل ما يأمرنا به، وما علّمنا إيّاه: «واترك لنا ما علينا كما نترك نحن لمن لنا عليه». إذًا، الربّ محا عنّا كلّ خطايانا بسفكه دمه على الصليب، فعلينا أن نتمثّل به ونغفر لمن يخطئ إلينا، وليس المطلوب أن نموت كما مات هو. اللافت بالربّ، المعلّم الحقيقيّ، أنّه لا يأمرنا بشيء لم يعمله هو، فسبيلنا أن نسير على خطاه كي نتقدّس.

والدة الإله

تُعيِّد كنيستنا المقدّسة في الخامس عشر من شهر آب لذكرى رقاد والدة الإله العذراء مريم، التي حملت في أحشائها إله الكلّ ومخلّص العالم. نعيّد في هذا اليوم لرقاد العذراء بالجسد، لأنّ الموت حتميّ لكلّ البشر، وهذا الموت كان المرحلة التي سبقت انتقالها إلى السماء. نقول إنّها انتقلت، ولم تقم مِنكم الجسديَّات* إن كان آخرونَ يشتركونَ في السلطانِ عليكم أفلسنا نحنُ أولى. لكنَّا لم نستعمل هذا السلطانَ بل نحتملُ كلَّ شيءٍ لئلَّا نُسبِّبَ تعويقاً ما لبشارةِ المسيح.

الإنجيل

(متى ١٨: ٢٣–٣٥)

قال الربُّ هذا المثَل: يُشبِه ملكوت السموات إنساناً مَلِكاً أراد أن يحاسِبَ عبيدَهُ* فلمَّا بدأ بالمحاسبةِ أُحضِرَ إليهِ واحدٌ عليهِ عَشرَةُ آلافِ وزنةٍ* وإذْ لم يكن له ما يوفي أَمَرَ سيّدُهُ أن يُباعَ هو وامرأَتُهُ وأولادُهُ وكلُّ ما لهُ ويُوفى عنهُ* فخرَّ ذلكَ العبدُ ساجداً لهُ قائلاً تمهَّلْ عليَّ فأوفيكَ كلَّ ما لك* فَرَقَّ سيّدُ ذلك العبدِ وأطْلقَهُ وترك لهُ الدَّين* وبعدما خرج ذلك العبدُ وجدَ عبداً من رُفقائهِ مديوناً له بمئةِ دينار فأمسَكَهُ وأخذ يَخنُقهُ قائلاً أوفِني ما لي عليك فخرَّ ذلك العبدُ على قَدَميهِ وطلبَ إليهِ قائلًا تمهَّل عليَّ فأوفيكَ كلَّ ما لك* فأبى ومضى وطرحهُ في السجنِ حتى يوفيَ الدَّين* فلمَّا رأى رُفقاؤهُ ما كان حَزِنوا جدًّا وجاءوا فأعْلَموا سيّدَهم بكلِّ ما كان* حينئذٍ دعاهُ سيّدُهُ وقال لهُ أيُّها العبدُ الشرّيرُ

كلُّ ما كان عليك تركتُهُ لك لأنَّك طلبْتَ إليَّ* أفَما كان ينبغي لك أنْ ترحَمَ أنتَ أيضاً رفيقَك كما رحمتُكَ أنا* وغضِبَ سيّدُهُ ودفعه إلى المعذِّبيَن حتى يوفِيَ جميعَ ما لهُ عليهِ* فهكذا أبي السماويُّ يصنعُ بكم إنْ لم تتركوا من قلوبِكم كلُّ واحدٍ لأخيهِ زلاَّتِهِ.

تأمل

من الواضح أننا إن ابتغينا الخَير لأنفسنا وللقريب وجب علينا أن نتغيَّر. إذ لا تؤثّر أفكارنا فينا وحسب بل في كل ما يحيط بنا أيضاً. لهذا يجب ألا نُصدر سوى الأفكار الصادقة، الهادئة والودودة. يوصينا الربُّ بأن نحبّ أعداءنا، وليس ذلك من أجلهم بل من أجلنا نحن. لأننا كلما غُصنا في ذكرى إساءةٍ تلقيناها من صديق أو من أحد المعارف أو الأقارب فلن يكون لنا سلامٌ ولا راحة. يجب أن نتحرّر من مثل هذه الأفكار، هذا يعني أنّ علينا أن نسامح من القلب. يجب أن نسامح على كل شيء. ولسوف يجلب لنا السلامُ الذي نشعر به بعد ذلك إحساساً بالراحة والفرح وانشراح الصدر، وليس فقط لنا بل لكلّ المحيطين بنا أيضاً. وسيشعر الجميع بأثر أفكارنا، إن كانت أفكارنا ودودة وسلامية.

من بين الأموات بسلطانها الذاتيّ مثل الربّ يسوع. أقامها ابنها ورفعها إليه ومنحها الكرامة. مريم وحدها حصلت، منذ رقادها، على المجد الذي سنكون فيه إذا كنّا مع المسيح، مثل مريم. نحن نتذوّق مسبقاً الملكوت، في هذا العيد، ونتوقّع كيف سيكون الجميع مجتمعين حول الربّ يسوع.

حقيقة المسيح الكلمة الإلهيّ الذي صار إنسانًا، وولادته من مريم العذراء، كانا الإيمان الجامع في القرون الأولى من تاريخ الكنيسة. يشير آباء الكنيسة ومجامعها بوضوح إلى هذا الموضوع. لذا، تعطي كنيستنا مكانة فريدة للسيّدة في ليتورجيّتها، وتخصّص لها عدّة أعياد. لا تُقام خدمة أو صلاة في الكنيسة إلاّ وتذكر اسمها، كما أنّ المؤمنين يقدّمون إليها الطلبات ممجّدين إيّاها، ومسمّين إيّاها «الأكرم من الشيروبيم والأرفع مجدًا بغير قياس من السيرافيم».

نوع التمجيد والإكرام والتسبيح الذي نُقدِّمه لوالدة الإله ردّده رئيس الملائكة جبرائيل لحظة البشارة: «إفرحي أيّتها الممتلئة نعمةً، الربّ معك، مباركة أنت في النساء» (لو ١: ٢٨). هناك أيضاً ما تفوهت به نسيبتها أليصابات التي كانت تجهل حدث البشارة، والتي يخبرنا عنها الإنجيل أنّها «امتلأت من الروح القدس فصرخت: من أين لي أن تأتي أمّ ربّي إليّ» (لو ١: ٤٣).

أولى الشهادات البشريّة في محاولةٍ لفهم سرّ الولادة الفائقة الطبيعة، تأتي من العذراء نفسها: «كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟» (لو ١: ٣٤، ٤٦-٥٥).

لقد شُهِدَ لولادة العذراء في الإنجيلَين بحسب متّى ولوقا وفي العهد القديم أيضًا. يعلن النبيّ حزقيال في رؤياه: «وقال الربّ: هذا الباب يكون مغلقًا، لا يُفتح ولا يدخل منه إنسان لأنّ الربّ إله إسرائيل دخل منه لهذا يبقى مغلقًا» (حز ٤٤: ٢). أيضًا، يقول النبيّ إشعياء: «ها إنّ العذراء تحبل وتلد ابنًا ويُدعى اسمه عمّانوئيل الذي تفسيره الله معنا» (إش ٧: ١٤، مت ١: ٢٣).

يُعلّمنا الكتاب المقدّس أيضًا أنّ حضور العذراء كان محسوسًا في حياة ابنها منذ طفولته حيث كانت «تحفظ ما يُقال عنه في قلبها» (لو ٢: ٥١)، إلى عرس قانا حيث كانت أولى عجائبه بإيعاز منها (يو ٢)، وتسليمه وموته على الصليب (يو ١٩: ٢٥-٢٧).

لا شكّ في أنّ الحدث المحوريّ الأبرز في تاريخ الإنسانيّة هو تجسّد الكلمة، كونه أكبر تدخّل إلهيّ في تاريخ البشريّة. لا شكّ أيضًا في أنّ إكرام والدة الإله أدّى دورًا أساسيًّا في الحفاظ على وعي الكنيسة فترة الصراعات حول عقيدة ألوهة المسيح وبشريته (ق. ٤-٧). كان المؤمنون يفهمون استعلان ألوهة المسيح في ظروف ولادته العجيبة، وفي حفظ بتوليّة العذراء، أمّا ناسوته ففهموه في أنّه وُلد من امرأة، أي من شخص تاريخيّ حقيقيّ. تؤكّد الكنيسة، من خلال تسمية «والدة الإله»، عقيدتها بأنّ الإله الكلمة صار إنسانًا حقًّا، تاليًا، إكرام والدة الإله هو نتيجة علاقتها بالمسيح. لا يُنقص هذا الإكرام من شأن الإله، إنّما يُعلن جلال التدبير الإلهيّ، لأنّ الله يتمجّد بالإنسان. يقول القدّيس إيريناوس أسقف

ليون: «جلال الله هو إنسان ممتلئ حياةً».

لقب «والدة الإله» هو أعلى تسمية وأسمى مجد إستطاع أيّ إنسان أن يبلغه. هو يعني، أنّ السيّدة أدّت دورًا فاعلاً في ولادة الإله، وأنّها النموذج الأسمى للتآزر بين النعمة الإلهيّة والإنسان. دور العذراء كان أساسياً لإتمام عمل الخلاص. لم يكن الإله ليتجسّد لولا قبول العذراء الطوعيّ لتدبيره الحاصل بواسطتها. لذا، تدعوها الكنيسة «حوّاء الجديدة»، مثلما المسيح هو «آدم الجديد». العذراء، بطاعتها الكاملة، نقضت عصيان حوّاء الأولى.

مريم العذراء هي إكمال دعوة الأنبياء، وإتمام الله لكلّ وعوده لهم. إختار الله شعبًا لتولد منه الفتاة التي صارت، بكمالها، حواء الجديدة، فأضحت العذراء هيكلًا للإله بالنّفس والجسد، إذ تحقّقت فيها أقوال الأنبياء عن أنّ ربّ المجد يسكن في شعبه «وهو يكون لهم إلهًا وهم يكونون له شعبًا» (لا ٢٦: ١٢، و٢كو ٦: ١٦).

قال الربّ لتلميذه يوحنّا على الصليب: «هوذا أمّك» (يو ١٩: ٢٥-٢٧). منذ تلك اللحظة، اعتبرها يوحنّا وكلّ المسيحيّين أمًّا. لدينا هنا صورة للإنسانيّة المفتداة: إنسانة عاشت متمّمة كلّ ما أراده الله لها. هي أعطت الصورة والمثل الأكمل للإنسان الذي يبحث عن الإله ويُكرّس له ذاته، والذي يقبل الإله في عمق كيانه، فيوضع «على المنارة ويضيء لجميع الذين في البيت» (مت ٥: ١٥).

عيد رقاد السيدة

تعيّد كنيستنا المقدسة في ١٥ آب لرقاد سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم. للمناسبة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الثلاثاء ١٤ آب وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الأربعاء ١٥ آب في كنيسة نياح السيدة في رأس بيروت.

الإعتراف

ضع نصب عينيك محبّة الله للبشر غير الموصوفة. أسرع إلى تطهير نفسك بالتوبة عن الخطايا، فإذا كان السيّد تكرَّم برأفته على اللّصّ المصلوب معه، فكم بالحريّ يتكرّم علينا بمحبّته للبشر إن اعترفنا بخطايانا. علينا الإستفادة من محبّته وألّا نخجل من الإعتراف بخطايانا، لأنّ قوّة الإعتراف عظيمة وفعلها عظيم. اللّصّ اعترف فوجد أبواب الفردوس مفتوحة. اعترف فتجرّأ أن يطلب الملكوت مع أنّه لصّ. إلّا أنّه لم يطلب ملكوت الله قبل الإعتراف بل بعده.

القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

العكس صحيحٌ أيضاً. فإن كان ربُّ العائلة مُثقلاً بهموم العائلة المالية ومتاعبِها فلن يكون أفرادُ عائلته في سلام. حتى الأولاد الصغار، الذين ليسوا في عمرِ فهمِ مشكلات الحياة، لن يكونَ لهم سلام لأن أباهم مُثقلٌ بالهموم. لذلك علينا جميعاً وعلى الأخص مَن يضطلعون بمسؤولية أُسرة أن نتعلَّم أن «نودع أنفسنا وبعضنا بعضاً وكلّ حياتنا للمسيح الإله». حين نؤمن، بكل ما في الكلمة من معنى، بأنّ الله سيُعيننا إن التجأنا إليه من القلب، فسوف يعزّينا. يجب أن نتعلّم نحن أيضاً أن نسامح من القلب.

كثيرون يأتون إليّ ويقولون لي إنه يصعب عليهم المحافظة على سلامهم الداخليّ. بالحقيقة لا يمكننا أن نحافظ على سلامنا الداخليّ إن كان ضميرنا يؤنِّبنا. علينا أوّلاً أن نُسكّن ضميرنا وسينظر الربُّ إلينا وينيرُنا بنعمته. سوف يمنحنا من صلاحه لأن الصلاح قدرة إلهية تعمل في الذين يطلبون بحرارة ينبوع الحياة. وقد قال لنا الرب: «يا بنيَّ أعطِني قلبك» (أم ٢٣: ٢٦).

الشيخ تداوس الصربي